مجلة العلوم الإسلامية مجلد: 01 عدد: 01 جوان 2019 ـــــ ISSN : 2773-2770

ص ـ ص: 103-119

البعد السياسي في الفكر الباديسي
"مفهوم الوطنية والأمة أنموذجا"

❁ عبد الله مقلاتي

جامعة المسيلة

ملخص البحث:

يمثل التراث الباديسي مرجعية فكرية وسياسية متأصلة لبناء المجتمع والدولة الجزائرية، وتتميز هذه المرجعية بثرائها في المجال السياسي، فرغم اهتمامات ابن باديس الإصلاحية الكثيرة فقد أولى الاهتمام بقضايا الهوية ومشروع الدولة المستقبلية، ووقف ابن باديس من مسألة الوحدة الوطنية موقفا ثابتا، حيث أكد مرارا أن سكان الجزائر الذين يتكونون من عنصري: الأمازيغ، والعرب قد وحدهم الإسلام والحضارة العربية، التي رافقت الفتوحات الإسلامية، حيث كتب سنة 1938م مقالا تحت عنوان" كيف صارت الجزائر عربية ؟"، وأكد أن الوطن الصغير (الجزائر) متحد بالوطن الكبير (المغرب العربي) ومرتبط بالوطن الأكبر (الأمة العربية والإسلامية)، فكيف وفق ابن باديس في صياغة مشروعه الوطني المتماسك والذي بينت الأيام إمكانية تجسيده في ظل فشل مشاريع أخرى كثيرة كالوطنية القطرية الضيقة والقومية العربية والوحدة الإسلامية؟. نحاول في هذه المداخلة الإجابة عن هذه الإشكالية، وذلك اعتمادا على العناصر الآتية:

. مفهوم الوطنية الجزائرية في تصور ابن باديس السياسي

. مفهوم الوطن الجزائري في إطار وحدة المغرب العربي لدى ابن باديس

. الوطن الجزائري والوحدة العربية والإسلامية في تصور ابن باديس

الكلمات المفتاحية: التجديد؛ ابن باديس؛ السياسة

Abstract

The Badisian heritage represents an intellectual and political reference rooted in building the Algerian state and society as a whole. Hence, this reference is characterized by its richness in the political field. Despite Ibn Badis' many reformist interests, he cared about issues of identity and projects of the future state. He took a firm position on the issues of national unity as well. He repeatedly promoted that the population of Algeria consists of Berbers and Arabs united by Islam and Arab civilization accompanied the Islamic conquests. Nevertheless, in his published article (1938) entitled "How did Algeria become Arab?", Ibn Badis emphasized that, Algeria; the small homeland is united with the large homeland; The Arab Maghreb and linked to the largest homeland; The Arab and Islamic nation. How did Ibn Badis achieve in formulating his coherent national project which has proved the possibility of its embodiment in light of the failure of many other projects such as narrow country

nationalism, Arab nationalism and Islamic unity? Based on the following ideas, we attempt to address the following issues:

- The concept of Algerian nationalism in Ibn Badis' political perception.

- The concept of the Algerian homeland within the unity of the Arab Maghreb framework according to Ibn Badis.

- The Algerian homeland, Arab and Islamic unity in Ibn Badis' conception

مقدمة

يمثل التراث الباديسي مرجعية فكرية وسياسية متأصلة لبناء المجتمع والدولة الجزائرية، وتتميز هذه المرجعية بثرائها في المجال السياسي، فرغم اهتمامات ابن باديس الإصلاحية الكثيرة فقد أولى الاهتمام بقضايا الهوية ومشروع الدولة المستقبلية، ووقف ابن باديس من مسألة الوحدة الوطنية موقفا ثابتا، حيث أكد مرارا أن سكان الجزائر الذين يتكونون من عنصري: الأمازيغ، والعرب قد وحدهم الإسلام والحضارة العربية، التي رافقت الفتوحات الإسلامية، حيث كتب سنة 1938م مقالا تحت عنوان" كيف صارت الجزائر عربية ؟"، وأكد أن الوطن الصغير (الجزائر) متحد بالوطن الكبير (المغرب العربي) ومرتبط بالوطن الأكبر (الأمة العربية والإسلامية)، فكيف وفق ابن باديس في صياغة مشروعه الوطني المتماسك والذي بينت الأيام إمكانية تجسيده في ظل فشل مشاريع أخرى كثيرة كالوطنية القطرية الضيقة

والقومية العربية والوحدة الإسلامية؟. نحاول في هذه المداخلة الإجابة عن هذه الإشكالية، وذلك اعتمادا على العناصر الآتية:

. مفهوم الوطنية الجزائرية في تصور ابن باديس السياسي

. مفهوم الوطن الجزائري في إطار وحدة المغرب العربي لدى ابن باديس

. الوطن الجزائري والوحدة العربية والإسلامية في تصور ابن باديس

أولا : مفهوم الوطنية الجزائرية في تصور ابن باديس السياسي:

يتميز الفكر السياسي لابن باديس بأصالته وثرائه، وإن كنا نعرف الكثير من مواقفه السياسية فان تصوراته لقضايا السياسة ما تزال محل بحث وجدل، ويأتي مفهوم الوطن والوطنية على رأس تلك القضايا، ففي خضم مجابهة المحتل اهتم عقل الجمعية وزعيمها بإبراز خصوصية الوطن الجزائري وارتباطاته الإقليمية والمجالية، وكان عليه ان يقف مطولا عند مفهوم الوطنية، اذ كان يؤكد في الشهاب دائما بشعار " الوطن قبل كل شيء"، ووقف مرة يقيم جهوده في إبراز معنى الوطن قائلا:" وما كانت هذه اللفظة يومئذ تجري على لسان أحد، بمعناها الطبيعي الاجتماعي العام، لجهل أكثر الأمة بمعناها، هذا وعدم الشعور به، ولخوف أقلها من التصريح به، أما اليوم فقد شعرت الأمة بذاتيتها وعرفت هذه القطعة من الأرض التي خلقها الله منها، ومنحها لها، وأنها هي ربتها، وصاحبة الحق الشرعي والطبيعي فيها، سواء اعترف لها به من اعترف، أم جحده من جحد، وأصبحت كلمة الوطن إذا رنت

في الأذان حركت أوتار القلوب وهزت النفوس هزا"([1])، وعليه فان ابن باديس يختزل نضاله وجهاده في سبيل وطنه، وقد أسهم في غرسها وتوضيح معانيها الطبيعية والاجتماعية لدى عامة الناس الذين جهلوا مكنونها، وهو يحدد أسس هذا الوطن ممثلة في الأرض المسخرة للإنسان وفي المجتمع أو الإنسان، وهي أسس مستمدة من الكتاب والسنة.

ويتصور ابن باديس أن حب الوطن الأكبر لا يتم إلا بحب الوطن الأصغر، وهو يشرع أحوال الناس على الشكل الأتي:

1 . قسم لا يعرفون إلا أوطانهم الصغيرة، وهؤلاء هم الأنانيون الذين يعيشون على أممهم كما تعيش الطفيليات على دم غيرها من الحيوان، وهم في الغالب لا يكون منهم خير حتى لأقاربهم وأهل بيتهم.

2 . وقسم يعرفون وطنهم الكبير فيعملون في سبيله كل ما يرون فيه خيره ونفعه ولو بإدخال الضرر والشر على الأوطان الأخرى بل يعملون دائما على امتصاص دماء الأمم والتوسع في الملك لا تردهم إلا القوة وهؤلاء شر وبلاء على غير أممهم بل وعلى أممهم فهم مصيبة البشرية جمعاء.

3 . وقسم زعموا انهم لا يعرفون إلا الوطن الأكبر وأنكروا وطنيات الأمم، كما أنكروا أديانها . وعدوها مفرقة بين البشر، وهؤلاء عاكسوا الطبيعة جملة وما عرفته البشرية منذ ألاف السنين ودلائل الفشل على تجربتهم حيث اجروا تجربتهم ولا تكاد تخفي.

4 . وقسم اعترف بهذه الوطنيات كلها ونزلها منازل غير عادية ولا معدو عليها، ورتبها ترتيبها الطبيعي في تدرجها، كل واحدة منها مبنية على

[1] الشهاب، عدد محرم 1357/ مارس 1931، ص 34

ما قبلها ودعامة لما بعدها، وآمن . هذا القسم . بأن الإنسان يجسد صورته وخيره وسعادته في بيته ووطنه الصغير وكذلك يجدها في أمته ووطنه الكبير ويجدها في الإنسانية كلها وطنه الأكبر، وهذا الرابع هو الوطنية الإسلامية العادلة، إذ هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكنوناتها وعلى الأمة بجميع مقوماتها وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها.([2])

ويعتبر ابن باديس ان الوطن الجزائري جزء من الأمة العربية والإسلامية، ويؤكد على بناء الوطن لبناء الأمة، وفي ذلك اهتمام بالبعد الوطني لم يتفطن له علماء الإصلاح الذين ينكرون وجود القطرية الضيقة، ومع ذلك نجد ابن باديس يخاطب الجزائريين بانهم يشكلون امة، "وبعد فنحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية، وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أننا من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية..."(3)، ولعل ذلك يأتي في معرض مقارنته بين الأمة الجزائرية والأمة الفرنسية، حيث أكد في أحد مقالاته أن الجزائريين ينتمون الى أمة متميزة عن الأمة الفرنسية، وأنه يجتهد في تحصيل حقوقهم، "إن الأمة الجزائرية قد شاركت الأمة الفرنسية في مواقف الموت، فمن الحق والعدل أن تساويها في مواقف الحياة"(4).

وقد سعى ابن باديس وهو يمارس السياسة الى تجميع كلمة الجزائريين وتوحيد الوطنيين، ولهذا ربط علاقات مع خصومه ووحد

---

[2] المصدر نفسه

[3] الشهاب عدد فيفري 1937

[4] اثار الامام عبدالحميد ابن باديس، ج 5، ط 1، ص 311

الموقف مع مخالفيه في الرأي ونسق عمله مع الاندماجيين والشيوعيين عام 1936، وكل ذلك من اجل خدمة الصالح العام للأمة الجزائرية وتوحيد كلمتها، وقد الح ابن باديس مرارا انه يعيش من اجل الجزائر والإسلام وفسر ذلك بقوله:" أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض علي تلك الروابط لأجله . كجزء منه . فروضا خاصة وأنا اشعر بان كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة وكما انني كلما اردت ان اعمل عملا وجدتني في حاجة إليه : الى رجاله والى ماله والى الأمة . كذلك أجدني إذا عملت قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة اليه، هكذا هذا الاتصال المباشر أجده بيني وبين وطني الخاص في كل حال وفي جميع الأعمال، واحسب أن كل ابن وطن يعمل لوطنه لا بد أن يجد نفسه مع وطنه الخاص في مثل هذه وهذا الاتصال"([5])، وفي هذا المقال الذي يحث على غرس الوطنية لا ينسى ابن باديس ليؤكد ارتباط الوطن الجزائري بأوطان عزيزة عليه هي بلا شك الأوطان العربية والإسلامية التي هو جزء منها، وهو ما نوضحه فيما يلي.

ثانيا: مفهوم الوطن الجزائري في اطار وحدة المغرب العربي لدى ابن باديس:

تفيد الأدبيات التي خلفها لبن باديس في كشف بعض الجوانب الخفية من مشروعه الوطني، وكذا تصوره لأبعاد وأسس مشروع الوحدة المغاربية، وفيما يلي سنبرز ملامح من تصوره الوطني والمغاربي بدءا ببيان المنطلقات الفكرية للمشروع وتعريفا بأسسه :

[5] الشهاب، جانفي 1937

1 . المنطلقات والمرجعيات:

إن المنطلقات الفكرية التي حكمت توجه ابن باديس المغاربي لا تختلف عن مثيلاتها التي وجهت التيار السلفي الإصلاحي نحو فكرة الوحدة العربية والإسلامية، حيث تشير الأدبيات ان ابن باديس تجاوب في هذا الشأن مع دعوات الإصلاح المنبعثة من المشرق الإسلامي والقائمة على البعد الديني وإصلاح الفرد والمجتمع ووحدة العالم الإسلامي، وكرس كذلك بعد الهوية العربية المرتبط بالإسلام، واجتهد في الدفاع عن اللغة العربية ليس باعتبارها لغة تخاطب بل لأنها تمثل هوية المسلم ([6])، وأضاف ابن باديس الى هذين البعدين خصوصية المغرب العربي التي تتميز تاريخيا باختلاف واضح عن تجربة المشرق العربي. وعليه فإن ابن باديس يرى في عروبة وإسلام ووحدة المغرب العربي حقيقة تاريخية، ويعتمد أسسا واضحة لتكريس وحدة المغرب العربي وفق تصور عميق وان كان ينتابه الغموض أحيانا كما سيأتي بيانه.

2. مقومات وأسس الوحدة المغاربية :

تعتمد الحركة الإصلاحية عموما وابن باديس أسسا واضحة لشحذ الهمم والدعوة إلى تجسيد مشروع الوحدة المغاربية، وهذه الأسس تعكس خصوصية المنطقة المغاربية، وتشكل فيما بينها تلاحما إيديولوجيا وسياسيا وثقافيا يزيد في إثراء المشروع ويميزه، وهذه الأسس هي:

1. التاريخ المشترك للمنطقة:

[6] انظر محمد الميلي : **المرجع السابق**، ص . ص 48. 49

تمتد الوحدة المغاربية في الماضي البعيد، فقبل الاحتلال الاستعماري كان سكان الجزائر والمغرب وتونس وليبيا يشكلون مجموعة متجانسة ومتضامنة تشد بنيانها الوحدة الدينية التي سهرت بين العرب والبربر، ونجاح تجارب الوحدة الوسيطية على يد المرابطين والموحدين، وتدعمت هذه العلاقات والروابط في العهد الاستعماري، إذ مثل احتلال الجزائر انتكاسة شعر بها الضمير المغربي وعبر عنها في أشكال تضامنية مختلفة، تجسدت في الاشتراك في الجهاد ضد الكافر الأجنبي ونصرة المقاومات الشعبية واحتضان الجزائريين في الأقطار المغاربية، وهكذا شاركت كثير من القبائل المغربية في مقاومة الأمير عبد القادر واعتبر تخلي السلطان عبد الرحمان عن نصرة هذه المقاومة درس استفادت منه النخب المقاومة عندما لم يتوانى المستعمر في احتلال تونس والمغرب انطلاقا من الجزائر، وهكذا كان تعميم الاحتلال عاملا آخر من عوامل الوحدة بين الأقطار المغاربية الثلاث.

وعلى الرغم من حرص الاستعمار على عزل الجزائر عن تونس والمغرب فإن تراث التاريخ المشترك والخصوصيات المغاربية أسهمت في تلاحم وتضامن شعوب المغرب العربي، وهي مقوم أساسي أشار إليه ابن باديس في أدبياته، فقد عبر عن حقيقة الوحدة المغاربية التي تعززت في حضن التاريخ بالقول: "حيثما توجهنا إلى ناحية من نواحي التاريخ، وجدنا هذا المغرب العربي طرابلس، تونس، الجزائر، مراكش يرتبط بروابط متينة، وروحية ومادية تتجلى بها وحدته للعيان، ولسنا نريد أن نتحدث عن التاريخ القديم، وإنما نريد أن نعرض صفحة من التاريخ الحديث الجاري..."([7])، وقد أكد ابن باديس على الروابط التاريخية التي

[7] انظر الشهاب، ج5، مج، 13، جانفي 1937،

تجمع المغاربة، والتي تفرض عليهم تضامنا متينا في مواجهة السياسة الفرنسية، ويهدف ابن باديس من وراء استثمار الماضي المشترك إلى جمع كلمة المناضلين والحركات الوطنية لتجسيد الوحدة التحررية ميدانيا كأساس للوحدة السياسية.

2. الوحدة الثقافية والدينية:

في مواجهة سياسة المستعمر الهادفة إلى ضرب أبعاد الهوية المغاربية تجند ابن باديس للتأكيد على عروبة وإسلام الجزائر والمغرب العربي وتجلية أبعاد الوحدة الثقافية والدينية التي تميز أقطار المغرب العربي على عكس وضعية المشرق العربي، وشدد ابن باديس على ضرورة حماية هدا الانسجام الثقافي فكان وهو البربري المسلم ينادي بعروبة الجزائر ويجمع حوله عناصر بربرية وميزابية وعربية من مختلف الجهات لخوض معركة الدفاع عن أبعاد الهوية الوطنية، وكان يردد باستمرار أن اللغة العربية هي لغة عالمية وبواسطتها يحفظ الدين الإسلامي، وهي أداة ربط المغرب العربي بالحضارة العربية الإسلامية وأي مساس باللغة هو مساس بالدين وبالوطن.

وفي مواجهة الهجمة الاستعمارية الشرسة على اللغة العربية ومحاولات ضربها باللهجات المحلية أعلن ابن باديس بصوت عال: " إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ (البربر) قد جمع بينهم الإسلام مند بضع عشرة قرنا، ثم بدأت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء، وتؤلف

بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء، حتى كونت منهم مند أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام"([8]).

3. تكامل الوطنية الجزائرية والوطنية المغاربية :

أدرك ابن باديس البعد الحقيقي لوطنية المغرب العربي وربط الوطنية الجزائرية بالوطنية المغاربية متحديا القائلين بعدم وجود شخصية جزائرية وبالتالي مغاربية، وفي هدا الشأن ذكر في مقاله "لمن أعيش" مايلي:" أما الجزائر فهي وطني الخاص..."، ويتحدث عن الوطن المغاربي باعتباره وطنا واحدا تمثل الجزائر فيه جزءا متكاملا حيث قال:" لنا وراء هدا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما على بال، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد أنه لابد أن نكون قد خدمناها وأوصلنا إليها النفع والخير عن طريق خدمتنا لوطننا الخاص، وأقرب هده الأوطان إلينا هو المغرب الأدنى والمغرب الأقصى اللذان ما هما والمغرب الأوسط إلا وطن واحد لغة وعقيدة وآداب وأخلاق وتاريخ ومصلحة، ثم الوطن العربي والإسلامي، ثم وطن الإنسانية العام "([9])، وقد تغنى ابن باديس كثيرا بحبه للوطن الجزائري، وأكد انه يعمل من اجله ومن اجل التضامن المغاربي والإسلامي([10]).

3 . تجسيد الوحدة المغربية والتضامن المشترك :

لقد بنى ابن باديس تصورا شموليا لمشروع الوحدة المغاربية، يقوم على وحدة الأقطار المغاربية في شكل كنفيدرالي، يتماشى مع

---

[8] أنضر أحمد الخطيب : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1985، ص 130

[9] انظر **الشهاب**، ج 1، مج 12، غرة شوال 1355هـ، جانفي 1937

[10] انظر عامر رخيلة : **المرجع السابق**، ص . ص 229. 231

الخصوصيات القطرية ويتفاعل مع الفضاء الرحب للوحدة العربية والإسلامية، ولم يكتف ابن باديس بالتنظير للمشروع وإتحافه بالخطب والمقالات، فقد كان يدعوا الى التضامن بين أقطاره والى تنسيق المواقف بين النخب الوطنية في مواجهة سياسة الاحتلال، وقد بادر الى توطيد علاقات متميزة مع علماء ووطني تونس والمغرب، وخاصة علماء الزيتونة الذين شهد بفضلهم عليه، ونسق مع جامع الزيتونة لإرسال بعثات علمية كان لها دور أساسي في النهضة العلمية التي عرفتها الجزائر، وقام بزيارة تونس والالتقاء بعلمائها وأعيانها، حيث وجد ترحيب منقطع النظير يليق بقدره ومكانته، وقد زار تونس ثلاث مرات وكان يختار الوقت المناسب لتعزيز التضامن بين أبناء الأمة الواحدة ويشيد بأواصر العلاقات التي تجمع سكان المغرب العربي([11])، فقد خطب أثناء حفل استقباله بتونس في جوان 1937 بطلب من جمعية الطلبة الجزائريين وجمعية ودادية الجزائريين قائلا :" ان الجمعيتين اختارتا أن يكون الكلام عن الجزائر وانأ أحب ان يكون الحديث عن عموم المغرب العربي، لأني أؤمن بان هذا الشمال الإفريقي لا ينهض الا بتضامنه مع بعضه بعضا..."([12])، وكانت لابن باديس علاقات مع علماء المغرب الأقصى، وكان أحيانا يشير إلى فضل بعضهم عبر صفحات الشهاب مثل ابي شعيب الدكالي وعبد الرحمان ابن زيدان وعلال الفاسي، ونوهت الشهاب منذ عام 1936 بأعمال الكتلة الوطنية المغربية والمطالب التي تقدمت بها الى السلطات الفرنسية، وكانت تعقب حديثها عن المغرب

[11] انظر بتفصيل، محمد صالح الجابري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 19621900، ش.و.ن.ت.الجزائر،1985، ص . ص 79. 85

[12] **المرجع نفسه**، ص 85

بالأكيد على الوحدة المغاربية ومسألة التضامن([13])، كما أعرب ابن باديس عن تضامنه مع كفاح سليمان الباروني عمر المختار ومحمد ابن عبد الكريم الخطابي([14])، وقد كان ابن باديس مناصرا لعبد العزيز الثعالبي بعد ان انشق عنه جماعة بورقيبة عام 1934، كما كان مناصرا لعلال الفاسي على حساب الحسن الوزان وذلك لتقاربه مع أفكارهما الإصلاحية السلفية، وعندما عاد الثعالبي الى تونس في جوان 1936 ذهب ابن باديس لملاقاته، وذكرت الصحافة الفرنسية ان الزعيمين (يتأمران) على الوجود الفرنسي، وأنهما يعملان على وحدة المغرب العربي ([15]). وبالموازاة مع ذلك كانت علاقات ابن باديس بالحزب الدستور الجديد وثيقة، فبمناسبة تنظيم العمال التونسيون لإضراب تضامني مع الجزائريين والمغاربة بادر ابن باديس الى إرسال برقية الى زعماء الحزب الدستوري يهنئهم ويشكرهم على مبادرتهم، واعتبر ان هذه المبادرة الأخوية تنسجم والأهداف القومية الموحدة.([16])

وعليه لم تكن نضرة ابن باديس للوطنية الجزائرية نضرة قطرية ضيقة، فمفهومه لها هي أنها وطنية مرتبطة بالوطنية المغاربية وقائمة على مشروعية ثقافية تاريخية تستند لأسس روحية .

---

[13] انظر الشهاب. عدد جويلية 1936

[14] انظر الشهاب، ج5، مج 13، رجب 1356، سبتمبر 1937

[15] انظر ابو القاسم سعد الله : ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر ،ج4، ط2، دار الغرب الاسلامي ،بيروت، 2005،ص152

[16] ورد ذلك في تقرير للشرطة الفرنسية بتاريخ نوفمبر 1937 مودع بارشيف ولاية قسنطينة، انظر عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931. 1945، ط1،دار البعث، قسنطينة، 1981، ص351.

ثالثا: الوحدة المغاربية جزء من الوحدة العربية في تصور ابن باديس:

لقد كان موضوع القومية العربية يثير جدلا ونقاشا حادا بين التيار الإسلامي والتيار القومي، وقد أوضح ابن باديس موقفه منها بأنها مجرد مجال للصراع الإيديولوجي لأن العروبة في نظره هي لسان وحضارة لا عرق وجنسية، وهذا الاتجاه أثبت صحته في العهد المعاصر، ويستند ابن باديس في هذا الصدد الى حديث نبوي[17] جاء فيه :" يا أيها الناس إن الرب واحد وإن الأب واحد وإن الدين واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي [18].

وهكذا يرى ابن باديس أن حضارة العرب والمسلمين، التي جاء بها "رسول القومية العربية" كانت أساس المدينة الحديثة كلها، حيث يقول : "أن رسول الإنسانية ورجل القومية العربية،كون أمته هذا التكوين المحكم العظيم ووجهها لتقوم للإسلام والبشرية بذلك العمل الجليل، فلم يكونها لتستولي على الأمم، ولكن لتنقدها من سلطة المسؤولين باسم الملك أو باسم الدين"[19] .

وهكذا يمكن القول أن ابن باديس قاوم الإستعمار انطلاقا من المبادئ الإسلامية والحضارة العربية غير أنه لم يكن مثقفا قوميا أمثال المثقفين القوميين العرب، ولكنه كان من دعاة القومية العربية بعنصر

---

[17])- ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط1،مطبوعات وزارة الشؤون الدينية الجزائرية،سنة 1982، ص298.

[18])- روى الحديث الحافظ عن عساكر تسنده عن مالك عن الزمري علي بن سلمى عن عبد الرحمن،وسبب وروده نفي أحد المنافقين العرب عن سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي صفة العرب.

19)- ابن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير، المصدر السابق،ص.302.

الدين والحداثة، وقد أسهم إسهامات معتبرة في إبراز "القومية العربية"في الجزائر واعتبر اللغة والدين والتاريخ المشترك والتفاعل المنسجم بين أفراد المجتمع، عناصر أساسية في وحدة الشعب الجزائري وتكوين وطنيته وقوميته عربية إسلامية([20]).

وقد نبه ابن باديس الى ارتباط المغرب العربي بالمشرق، في الوقت الذي تناسى دعاة القومية العربية بالمشرق ان المغرب العربي هو جزء من هذه الوحدة، ومن بين القوميين العرب الذين ألفتوا الانتباه الى ان المغرب العربي يمثل جزء أساسيا من هذه الوحدة شكيب أرسلان، وقد كانت له صداقة مع ابن باديس ونخب المغرب العربي، وقد أيد ابن باديس موقفه في ضرورة التلازم بين العروبة والإسلام كإطار إيديولوجي لمشروع الوحدة العربية فقال: " إن الاتجاه الإسلامي والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي هما موجودان، تزول الجبال ولا يزولان، بل هما في ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والإسلام"([21]).

ولام ابن باديس دعاة الوحدة العربية في المشرق نسيانهم للمغرب، وعد ذلك تقصيرا منهم كون سكان المغرب عرب ومسلمون يرتبطون ارتباطا وثيقا بإخوانهم في المشرق([22])، وكتب في مقال بعنوان " الوحدة العربية هل هي بين العرب وحدة سياسية " استعرض فيه الروابط القائمة بين أبناء الأمة العربية وناقش موقف أرسلان من

---

[20] بوصفصاف عبد الكريم محاضرة بعنوان ابن باديس بين الاصالة والمعاصرة

[21] الشهاب : ج 11 ،مج 13، غرة ذي القعدة 1356 هـ، جانفي 1938

[22] انظر مقاله بعنوان "وحدة الشمال الافريقي": الشهاب، ج5، م13، يوليو. تموز 1937 . وصالح خرفي: في رحاب المغرب العربي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985،ص . ص 26.25

الوحدة العربية، وأعقبه بالقول " الوحدة السياسية لا تكون إلا بين شعوب تسوس نفسها فتضع خطة واحدة تسير عليها في علاقاتها مع غيرها من الأمم، وتتعاقد على تنفيذها، وتكون كلها في تنفيذها والدفاع عنها يدا واحدة، فهي مقتدرة على الدفاع عنها كما كانت حرة في وضعها، وأما الأمم المغلوبة على أمرها فهده لا تستطيع أن تضع أمرا لنفسها فكيف تستطيع أن تدافع عما تقرره مع غيرها..."([23])، ولا شك أن موقفا كهذا ينم على خبرة وحنكة سياسية، فقد أدرك ابن باديس بواقعيته انه لا يمكن الحديث عن وحدة المغرب العربي مع المشرق العربي إلا بعد استقلاله، وهكذا يحدد ابن باديس موقفه الصريح من أن الوحدة المغربية هي جزء من مشروع الوحدة العربية الشمولي.

خاتمة :

من خلال ما سبق عرضه نخلص لتأكيد ما يلي:

. ان ابن باديس يعد مدرسة للافكار تجمع بين النظرية والتطبيق وتتعدد مجالاتها، وفي المجال السياسي كانت له أفكار ومواقف تنسجم والحالة الجزائرية، وتتناغم والمشروع الاصلاحي الذي عمل على تجسيده وانجاحه.

. إن ابن باديس بفكره وممارسته السياسية اهتم بمسالة الوطن والوطنية منذ وقت مبكر، ودافع عن وجود الوطن الجزائري عندما أنكره بعض المتسيسين، وأوضح خصوصياته وأسسه.

. لقد شرح ابن باديس واقع الوطن الجزائري في إطار الأمة العربية والإسلامية، واعتبر الجزائر جزء من المغرب العربي يرتبط به بروابط

[23] انظر الشهاب : ج 11، مج 12، غرة ذي القعدة 1356، جانفي 1938.

تاريخية ودينية وجغرافية ويتكامل في إطاره بما يخدم الوطن العربي والإسلامي.

. ان اهتمام ابن باديس بوطنه لم ينسه اهتمامه بامته، وهو يؤمن بتكامل الامة الاسلامية، ولا ينجرف مع دعاية القومية العربية، وهو بذلك يقف مع رجال الاصلاح في تقديم البعد الديني على البعد الجنسي، وهو تصور منسجم مع واقع القطريات الحديثة.